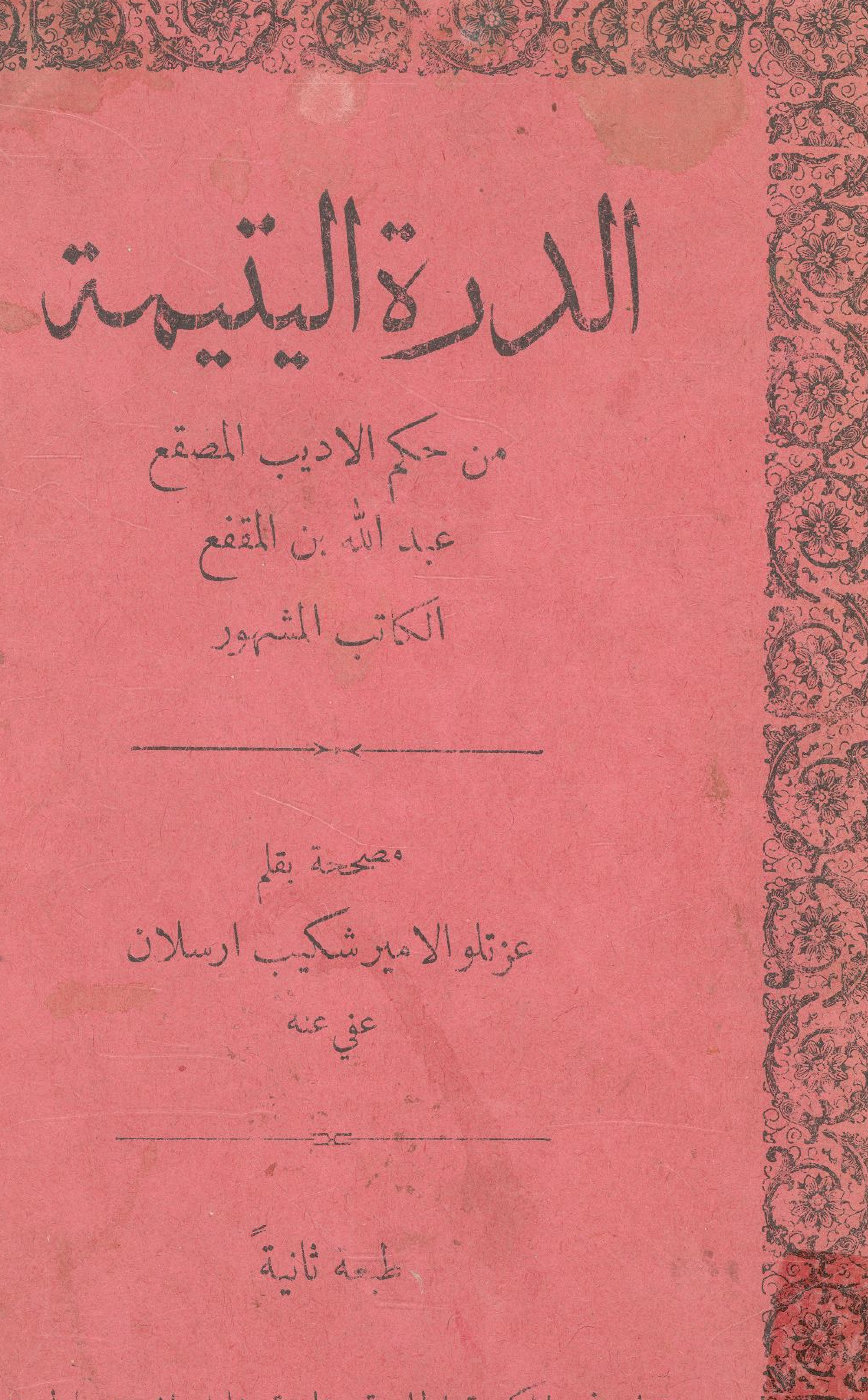


الدرة اليتيمة

من حكم الاديب المصقع
عبد الله بن المقفع
الكاتب المشهور

مصححة بقلم
عزتلو الامير شكيب ارسلان
عفي عنه

طبعة ثانية

تباع في المكتبة الجامعة خاصة خليل افندي الخوري
في سوق الحميدية نمره ١٢

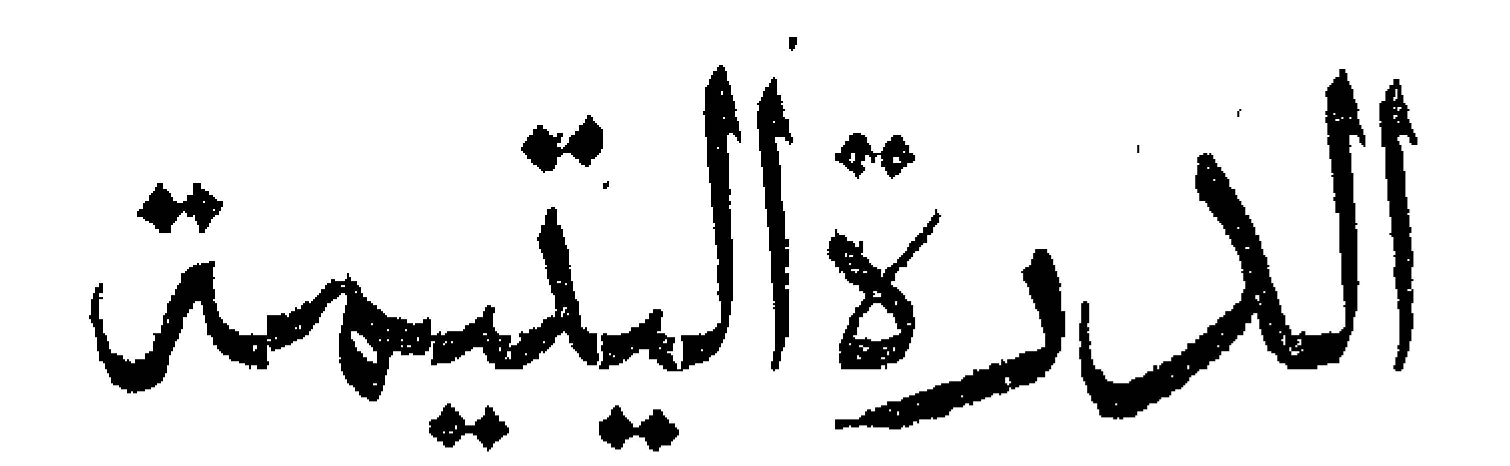
طبعت في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٨٩٧

اهداءات ٢٠٠٢

اسرة د/ عبد الرحمن بدوى

جمعية د /عبد الرحمن بدوى للابداع الثقافى

القاهرة



من حكم الاديب المصقع

عبد الله بن المقفع

الكاتب المشهور

نسخة ثانية مراجعة

مصححة بقلم

عزتلو الامير شكيب ارسلان

عُفيَ عنهُ

طبعت ثانية

تباع في المكتبة الجامعة خاصة خليل افندي الخوري

في سوق الحميدية نمره ١٢

طبعت في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٨٩٧

المقدمة للمصحح

بسم الله الرحمن الرحيم

ابدأ بحمد الله المنشيء البديع على مزيد نواله واشفع بالصلاة على رسول الله السيد الشفيع وعلى صحبه وآله

وبعد فقد رأينا اخواننا طلاب العربية اعظم ما كانوا عليها منذ امدٍ اقبالا واشد ما عانوا في تحرّي فوائدها ايجافاً وايغالا واحثّ ما وجدناهم في سبيلها اجتهادا وابصر ما عهدناهم في مظان تحصيلها ارتيادا رأينا الجم الغفير منهم والحق يقال دائباً في اصلاح لغته وتثقيف ملكته حريصاً على تقويم لسانه وإحكام بيانه متوخياً طرق الانطباع على بليغ الكلام منتهجاً خطط الوصول الى الطبقة العالية من القول مما يجب ان يلتمس في كتب السلف وينشد في منشآت الاولين من اهل هذا اللسان السابقين في حلبة البيان بالاستكثار من حفظ تراكيبهم وتحدي اساليبهم ومحاكاة نغمتهم والاحتذاء على امثلتهم حتى تحصل للمعاني منهم ملكة راسخة يصدر عنها في انشائه فلا يكون من شانه ان يعلو ويسفل ويغلو ويبذل ولكنه يجري على نمط متناسب ويفرغ في قالب واحد وكانت هذه الغاية وتلك العناية بصناعة الانشاء عموماً وبهذا النوع المرسل منه خصوصاً اجدر ما تصرف نحوه الهمة وافضل ما تُثنى اليه الازمة لا سيما في هذا العصر الذي ازدحمت فيه المعاني وتعددت المناحي وتضاعفت المقاصد واختلفت المواضيع وتوسع فيه من امكنة القول

ما كان من قبلُ حرجا واوجد فه ما لم يكن موجودًا واخرج ما لم يكن مخرجًا وهو الذي اشتبكت فيه الوسائل وأَثّت العلائق وتطالعت العقول وتكاشفت الالباب وتشارفت المعارف المتباينة وتشاركت المدارك المتنابذة حتى كأَن الامم امة واحدة وكأَن الامة فردٌ واحدٌ في تناول البعيد وتقييد الشارد والاحاطة بالمجهول فتداعت من اجل ذلك المعاني من كل جانب كالسيل المتدفق والعارض المغدِق على رؤوس الكتاب لا تجد منصرَفًا الا من صنابير الاقلام وانابيب اليراع وقد كان مكان الانشآء كما كان على ادائه من العناية حقّه وتوفيره من المزاولة قسطَه والزمان على غير هذا الوضع ونطاق العلوم اضيق ومقاصد الكلام ولا ريب في كثير اقل ومواطن التعبير تكاد تكون محصورةً في جم من المواضيع فكيف بالكاتبين والمعرّبين من اهل هذه الايام وقد لزمهم من ادوات الكتابة بعض ما لم يلزم غيرهم واعترضهم كثيرٌ من عقباتها التي لم تعترض مَن قبلهم ومست بهم الحاجة الى استغراق سيل هذه المعاني بمادة غزيرة وعدّة متينة من الالفاظ على نسق محمود من التراكيب فان المعاني اذا كثرت على الالفاظ ضاق دونها ذرع الكتبة فذهبوا في ابرازها الى الخلق وعرضها على الاذهان مذاهب الضعف ومسالك السخف فافسدوا لغتهم واعجموا منطقهم واذا كثرت الالفاظ على المعاني بين قوم سادت بينهم الصناعة اللفظية ولَهَا المشتغلون بنوع من الحفظ لم يقصد لذاته فكان العِيُّ والحَصَر احسن منه فكانت البغية كل البغية في تناسب القوّتين وتعادل المُنتين وتضارع المادتين حتى يتوفر لكل معنى نديده من اللفظ ويتسنى بازاء كل مغزى ضريبه من السبك ويودع كل خاطرٍ

قالبه الاليق ويلبس كل فكر ثوبه الالبق وهي غاية من ابعد البعيد وعقبة عنود لدى التصعيد ولكنها رأس النصح في خدمة اللغة واول الواجب في حق اللسان وانما يتذرّع الى تسهيلها وتمهيد طرق تحصيلها بادمان النظر وادامة السهر في التطبع على بلاغة الاولين وتقليد مناهج السالفين وكذلك كان اسنى ما تخدم به هذه اللغة الشريفة لهذا العهد اثارة دفائن كنوزها ونفض كنائن رموزها واستخراج جواهرها التي أحرز منها النزر اليسير وبقي الجم الكثير وانه لو لم يكن بين ايدينا وايم الله كلامهُ القديم وحديث رسولهِ عليه التحية والتسليم وانهما بهذا اللسان لحكمنا بان هذه العربية لم تزل بكرًا لم تفترع وسرًا لم يخترع لقلة ما وصل الى ايدي طلاّبها من نفائسها وكثرة ما احتجب عن اعين خُطّابها من عرائسها فان اكثر مشاهير الكتاب ومصاقع الخطباء من اهل المئات الاول بعد الهجرة لم تظفر الايدي بكلامهم الاّ قليلاً منه منثورًا في بعض التآليف والمجاميع متفرقًا منقطعًا بعضه عن بعض مع انهم العمدة في هذه الغاية والقدوة في هذا السبيل والناس في الادب انما تلتقط من فضلات مآدبهم وتترشّف من أسآر مشاربهم ولذلك جعلت من بعض همي مع عدم اتساع البال ونصب النفس لهذه الاشغال التنقيب عن بعض آثار القوم اهلِ هذا الشأو البعيد والشأن الخطير حتى ظفرت وانا في هذه الايام بدار الخلافة العظمى بجملة من الكتب منها هذه الدرّة اليتيمة لعبد الله بن المقفع المنشيء المشهور معرّب كتاب كليله ودمنه فاخترت عموم الفائدة بطبعها لانها مع صغر حجمها قد جمعت بين اعلى طبقات البلاغة واسمى درجات الحكمة وتضمنت من الحكم البوالغ والحجج الدوامغ

ما لم يتضمنه كتاب قبلها ولا بعدها فكانت حرّية بان يتخذها الكاتب منتجع لبه وحماطة قلبه وان يجعلها دستور انشائه ومثال احتذائه وحقيقة بان يتخذها الانسان نُصْبَ ناظره وشغل خاطره يهتدي بنور حكمها في ظلم المعاضل ومدلهمّات المشاكل ويتدرب بما اوضحته من سبل التصرف الحكيمة ونهجته من جوادّ الكمال القويمة على امتزاج لحكمتها بقواعد الكون ودخولها تحت طور الطوق وما انا محدّثٌ عن ابن المقفع وهو رب هذا الامر وواسطة هذا العقد وفي شهرته ما يغني عن الافاضة والاشادة وفي الاطلاع على هذه الرسالة ما يكفي الشاهدَ مؤونة الشهادة ولعمري لو استفرغ مجتهدٌ وُسعه في اهداء ارباب الاقلام طُرفةً تعجبهم فقصاراه نشر كلام مثل ابن المقفع اذ لا يجد في هذا الباب اجزل لهم نفعاً ولا اسنى لديهم وقعاً ولذلك كان لا شبهة عندي في ان ما توخيته من الفائدة يلاقي اقبال الطلاب ويقتضي ثناءهم بحسن الانتخاب فقد يكون من فضل المرء في حسن انتقائه ما يربو على فضله في حسن انشائه اذ كان من الاختيار ما هو انطق بالفضل وادلّ على العقل على حد قول القائل

قد عرفناك باختيارك اذ كا ن دليلاً على اللبيب اختياره

ترجمة ابن المقفع

هذا ما اخترنا تلخيصه عن وفيات الاعيان في امر صاحب هذه الرسالة فهو عبدالله ابن المقفع الكاتب المشهور بالبلاغة صاحب الرسائل البديعة وهو من اهل فارس وكان مجوسياً فاسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح والمنصور العباسيين ثم كتب له واختص به ومن كلامه (شربت الخطب

رِيًّا ولم اضبط لما رويا ففاضت ثم فاضت فلا هي نظامًا وليست غيرها كلامًا)
قال الهيثم بن عدي جاء ابن المقفع الى عيسى بن علي فقال له قد دخل الاسلام في قلبي واريد ان اسلم على يدك فقال له عيسى ليكن ذلك بمحضر من القواد ووجوه الناس فاذا كان الغد فاحضر ثم حضر طعام موسى عشية فجلس ابن المقفع يأكل ويزمزم[1] على عادة المجوس فقال له اتزمزم وانت على عزم الاسلام فقال كرهت ان ابيت على غير دين فلما اصبح اسلم على يده وكان ابن المقفع مع فضله يتهم بالزندقة فحكى الجاحظ ان ابن المقفع ومطيع ابن اياس ويحيى ابن زياد كانوا يتهمون في دينهم قال بعضهم كيف نسي الجاحظ نفسه وقال الاصمعيُّ قيل لابن المقفع من أدَّبك قال نفسي اذا رأيت من غيري حسنًا اتيتهُ وان رأيت قبيحًا ابيتهُ واجتمع ابن المقفع بالخليل بن احمد صاحب العروض فلما افترقا قيل للخليل كيف رايته قال علمه اكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل فقال عقله اكثر من علمه ويقال ان ابن المقفع هو الذي وضع كتاب كليله ودمنه وقيل انه لم يضعه وانما كان بالفارسية فنقله الى العربية وان الكلام الذي في اول هذا الكتاب من كلامه وقال الاصمعي صنف ابن المقفع كثيرًا من المصنفات الحسان منها الدرة اليتيمة التي لم يصنف في فنها مثلها هذا وكان ابن المقفع يعبث بسفيان بن معوية بن يزيد بن المهلب بن ابي صفرة امير البصرة وينال من عرضه وكثر ذلك منه وذكر الهيثم بن عدي انه كان

---

(١) الزمزمة تراطن العلوج على اكلهم وهم صموت لا يستعملون لسانًا ولا شفة ولكنه صوت تديره في خياشيمها وحلوقها فيفهم بعضها عن بعض (القاموس)

يستخف بسفيان كثيراً وكان انف سفيان كبيراً فكان دخل عليه فقال السلامُ عليكما يعني نفسه وانفه وقال له يوماً ما تقول في شخص مات وخلف زوجاً وزوجة يسخر به وقال سفيان يوماً ما ندمت على سكوت قط فقال ابن المقفع الخرَس زينٌ لك فكيف تندم عليه فكان سفيان هذا شديد الحنق عليه يترقب فرصةً لقتله وكان عبدالله بن علي" العباسي قد خرج على ابن اخيه المنصور فارسل اليه المنصور جيشاً مقدّمه ابو مسلم الخراساني فانتصر عليه وهرب عبدالله بن علي" الى اخويه سليمان وعيسى فاستتر عندهما فتوسطا له عند المنصور فقبل شفاعتهما فيه واتفقوا على ان يكتب له اماناً وهذه الواقعة مشهورة في التواريخ فلما ان اتيا البصرة قالا لعبدالله بن المقفع اكتب انت وبالغ في التاكيد كيلا يقتله المنصور فكتب ابن المقفع الامان وشدّد فيه حتى قال في جملة فصوله ومتى غدر اميرُ المؤمنين بعمه عبدالله بن علي" فنساؤُهُ طوالق ودوابّه حُبسٌ(١) وعبيدهُ احرار والمسلمون في حل من بيعته وكان ابن المقفع يتنوع في الشروط فلما وقف عليه المنصور عظم ذلك عليه وقال من كتب هذا فقالوا رجل يقال له عبدالله بن المقفع يكتب لاعمامك فكتب الى سفيان متولي البصرة المتقدم ذكره يامره بقتله وكان صدر سفيان موغَراً منه فقتله شرّ قتلة واختلفت الروايات في كيفية قتله فقيل انه امر بتنور فسجر(٢) ثم امر به فقطعت اطرافه عضواً عضواً وهو يلقيها في التنور وهو ينظر حتى اتى على جميع جسده وقيل القاه في بئر المخرج وردم عليه الحجارة وقيل بل ادخله حماماً واغلق عليه الباب فاختنق وسأل سليمان

---

(١) مُحبّسة عن الرعي (٢) سجر التنور ملأه وقوداً

وعيسى عنه فقيل انه دخل دار سفيان سليماً ولم يخرج منها فخاصماه الى المنصور واحضراه اليه مقيداً وحضر الشهود الذين شهدوا وقد دخل داره ولم يخرج فاقاموا الشهادة عند المنصور فقال لهم المنصور انا انظر في هذا الامر ثم قال اراًيتم ان قتلت سفيان به ثم خرج ابن المقفع من هذا البيت واشار الى باب خلفه وخاطبكم ما ترونني فاعلاً بكم افأقتلكم بسفيان فرجعوا كلهم عن الشهادة واضرب عيسى وسليمان عن ذكره وعلموا ان قتله كان برضى المنصور ويقال انه عاش ستاً وثلثين سنة وكان قتله سنة اثنتين واربعين ومئة وقيل سنة خمس واربعين وقيل انّ سليمان بن عليّ العباسي توفي سنة اثنتين واربعين وعلى هذا تكون الرواية الاولى هي الصحيحة ولابن المقفع شعر مذكور في كتاب الحماسة والمقفع بضم الميم وفتح القاف وتشديد الفاء وفتحها واسمه دادويه وكان الحجاج ولاّه خراج فارس فمدّ يده الى الاموال فعذبه فتقفعت يداه فسمي بذلك وقيل بل ولاه خالد بن عبدالله القسريّ وعذّبه يوسف بن عبدالله بن عمر الثقفيّ لما تولى العراق بعد خالد وقال ابن مكيّ في كتاب تثقيف اللسان ويقولون ابن المقفع والصواب بكسر الفاء لانه كان يعمل القفاع ويبيعها والقفاع بكسر القاف جمع قفعة بفتح القاف شيء يعمل من الخوص شبيه بالزنبيل لكنه بغير عروة والقول الاول هو المشهور بين العلماء (انتهى بتصرف)

الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلواته على نبينا محمد وآله الطاهرين قال عبدالله بن المقفع وجدنا الناس قبلنا كانوا اعظم اجسادًا واوفر مع اجسادهم احلامًا واشد قوة واحسن بقوتهم للامور اتقانًا واطول اعمارًا وافضل باعمارهم للاشياء اختبارًا فكان صاحبُ الدين منهم ابلغ في امر الدين علمًا وعملاً من صاحب الدين منا وكان صاحب الدنيا على مثل ذلك من البلاغة والفضل ووجدناهم لم يرضوا بما فازوا به من الفضل لانفسهم حتى اشركونا معهم فيما ادركوا من علم الاولى والآخرة فكتبوا به الكتب الباقية وكفونا به مؤونة التجارب والفطن وبلغ من اهتمامهم بذلك أنّ الرجل منهم كان يُفتح له الباب من العلم والكلمة من الصواب وهو بالبلد غير المأهول فيكتبه على الصخور مبادرةً منه للاجل وكراهيةً لان يُسقط ذلك على مَن بعده[1] فكان صنيعهم في ذلك صنيع الوالد الشفيق على ولده الرحيم بهم الذي يجمع لهم الاموال والعُقد[2] ارادةَ أن لا تكون عليهم مؤونة في الطلب وخشية عجزهم إنَ هم طلبوا فمنتهى علمِ عالمنا في هذ الزمان ان يأُخذ من علمهم وغايةُ احسان محسننا ان يقتدي بسيرتهم واحسن ما يصيب من الحديث محدّثنا ان ينظر في كتبهم فيكون كأنه اياهم يحاور ومنهم يستمع غير ان الذي نجد في كتبهم هو المنتحل في آرائهم والمنتقى من احاديثهم ولم تجدهم غادروا شيئًا يجد واصفٌ بليغٌ في صفةٍ له مقالاً لم يسبقوه اليه لا في تعظيمِ لله عز وجل وترغيب فيما

(١) اي يفوته (٢) جمع عقدة وهي العقار الذي اعتقده صاحبه ملكاً

عنده ولا في تصغير للدنيا وتزهيد فيها ولا في تحرير صنوف العلم وتقسيم اقسامه وتجزئة اجزائها وتوضيح سبلها وتبيين مآخذهم ولا في وجوه الادب وضروب الاخلاق فلم يبقَ في جليل من الامر لقائلٍ بعدهم مقال وقد بقيت اشياء من لطائف الامور فيها مواضع لصغار الفطن مشتقة من جسام حكم الاولين وقولهم ومن ذلك بعضُ ما انا كاتب في كتابي هذا من ابواب الادب التي يحتاج اليها الناس

يا طالب الادب اعرف الاصول والفصول فان كثيرًا من الناس يطلبون الفصول مع اضاعة الاصول فلا يكون دَرْكهم[1] دركًا ومن احرز الاصول اكتفى بها عن الفصول وان اصاب الفصل بعد احراز الاصل فهو افضل

فاصل الامر في الدين ان تعتقد الايمان على الصواب وتجتنب الكبائر وتؤدي الفريضة فالزم ذلك لزوم من لا غناءَ به عنه طرفة عين ومن يعلم أنّه ان حُرِمه هلك ثم ان قدرت ان تجاوز ذلك الى التفقه في الدين والعبادة فهو افضل واكمل * واصل الامر في اصلاح الجسد ألاّ تحمل عليه من المآكل والمشارب والباه الا خفافًا وان قدرت على ان تعلم جميع منافع الجسد ومضارّه والانتفاع بذلك فهو افضل * واصل الامر في البأس الاّ تحدث نفسك بالإدبار واصحابك مقبلون على عدوهم ثم ان قدرت ان تكون اول حامل وآخر منصرف من غير تضييع للحذر فهو افضل * واصل الامر في الجود الاّ تضنّ بالحقوق عن اهلها ثم ان قدرت ان تزيد ذا الحق على حقه

(١) الدرك والدَّرَك اللحاق والوصول الى الشيء ولم يستعمل منه فعل ثلاثي

وتطول على من لا حق له فافعل فهو افضل * واصل الامر في الكلام ان تسلم من السقط بالتحفظ ثم ان قدرت على بارع الصواب فهو افضل *واصل الامر في المعيشة ان لا تني عن طلب الحلال وان تحسن التقدير لما تفيد وما تنفق ولا يغرنك من ذلك سعة تكون فيها فان اعظم الناس في الدنيا خطراً احوجهم الى التقدير والملوك احوج الى التقدير من السوقة لان السوقة قد يعيش بغير مال والملوك لا قوام لهم الا بالمال ثم ان قدرت على الرفق واللطف في الطلب والعلم بالمطالب فهو افضل

وانا واعظك في اشياء من الاخلاق اللطيفة والامور الغامضة التي لو حنكتك سن كنت خليقاً ان تعلمها وان لم تخبر عنها ولكن احببت ان اقدم اليك فيها قولاً لتروض نفسك على محاسنها قبل ان تجري على عادة مساويها فان الانسان قد تبتدر اليه في شبيبته المساوي وقد يغلب عليه ما يبدر اليه منها

ان ابتليت بالامارة فتعوذ بالعلماء واعلم ان من العجب ان يبتلي الرجل بها فيريد ان ينتقص من ساعات نصبه وعمله فيزيدها في ساعات دعته وشهوته وانما الرأي له والحق عليه ان ياخذ لعمله من جميع شغله فيأخذ من طعامه وشرابه ونومه وحديثه ولهوه ونسائه فاذا تقلدت شيئاً من الاعمال فكن فيه احد رجلين اما رجلاً مغتبطاً به فحافظ عليه مخافة ان يزول عنه واما رجلاً كارهاً فالكاره عامل في سخرة اما للملوك ان كانوا هم سلطوه واما لله ان كان ليس فوقه غيره واياك اذا كنت والياً ان يكون من شأنك حب المدح والتزكية وان يعرف الناس ذلك منك فتكون ثلمة من الثلم

يتقحمون عليك منها وبابًا يفتحون منه وغيبةً يغتابونك بها ويضحكون منها.
اعلم ان قابل المدح كمادح نفسه والمرء جدير ان يكون حبه المدح هو الذي يحمله على رده فان الراد له محمود والقابل له معيب . لتكن حاجتك في الولاية الى ثلاث خصال رضى ربك ورضى سلطان ان كان فوقك ورضى صالح من تلي عليه وما عليك ان تلهو عن المال والذكر فسياتيك منهما ما يكفي ويطيب واجعل الخصال الثلاث بمكان ما لا بد لك منه والمال والذكر بمكان ما انت واجد منه بدًا

اعرف اهل الدين والمروءة في كل كورة وقرية وقبيلة فيكونوا هم اخوانك واعوانك وبطانتك وثقاتك ولا يقذفنَّ في رُوعك أنك ان استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى رأي غيرك فانك لست تريد الرأي للافتخار به ولكن تريده للانتفاع به ولو انك مع ذلك اردت الذكر كان احسن الذكرين وافضلها عند اهل الفضل ان يقال لا يتفرّد برأيه دون استشارة ذوي الرأي

انك ان تلتمس رضى جميع الناس تلتمس ما لا يدرك وكيف يتفق لك رأي المختلفين وما حاجتك الى رضى مَن رضاهُ الجورُ والى موافقة من موافقتهُ الضلالةُ والجهالة فعليك بالتماس رضى الاخيار منهم وذوي العقل فانك متى تُصِبْ ذلك تضع عنك مؤونة ما سواه

لا تمكنْ اهل البلاء من التذلل ولا تمكن من سواهم من الاجتراء عليهم والعيب لهم[1] * لتعرف رعيتك ابوابك التي لا ينال ما عندك من

(١) يقال عاب له كعابه

الخير الا بها والابواب التي لا يخافك خائف الا من قبلها · احرص الحرص كله على ان تكون خبيرًا بامور عمالك فان المسيء يفرق من خبرتك قبل ان تصيبه عقوبتك وان المحسن يستبشر بعلمك قبل ان يأتيه معروفك

ليعرف الناس فيما يعرفون من اخلاقك أنك لا تعاجل بالثواب ولا بالعقاب فان ذلك ادوم لخوف الخائف ورجاء الراجي

عوّد نفسك الصبر على من خالفك من ذوي النصيحة والتجرّع لمرارة قولهم وعذلهم ولا تسهلن سبيل ذلك الا لاهل العقل والسن والمروءة لئلا ينتشر من ذلك ما يجتري‌ء به سفيه او يستخفّ له شأن · لا تتركن مباشرة جميع امرك فيعود شأنك صغيرًا ولا تلزم نفسك مباشرة الصغير فيصير الكبير ضائعًا · اعلم ان رأيك لا يتسع لكل شيء ففرّغه للمهم وان مالك لا يغني الناس كلهم فاختصّ به ذوي الحقوق * وان كرامتك لا تطيق العامة فتوّج بها اهل الفضائل * وان ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجاتك وان دأبت فيهما وانه ليس لك الى ادائها سبيل مع حاجة جسدك الى نصيبه منهما فاحسن قسمتهما بين دعتك وعملك * واعلم انك ما شغلت من رأيك بغير المهم ازرى بالمهم وما صرفت من مالك بالباطل فقدته حين تريده للحق وما عدلت به من كرامتك الى اهل النقص اضرّ بك في العجز عن اهل الفضل وما شغلت من ليلك ونهارك في غير الحاجة ازرى بك في الحاجة

اعلم ان من الناس ناسًا كثيرًا يبلغ من احدهم الغضب اذا غضب ان يحمله ذلك على الكلوح والتقطيب في وجه غير من اغضبه وسوء اللفظ لمن لا ذنب له والعقوبة لمن لم يكن يهم بعقوبته وسوء المعاقبة باليد واللسان لمن

لم يكن يريد به الا دون ذلك ثم يبلغ به الرضى اذا رضى ان يتبرّع بالامر ذي الخطر لمن ليس بمنزلة ذلك عنده ويعطى من لم يكن اعطاه ويكرم من لا حق له ولا مودة فاحذر هذا الباب كله. فانه ليس احد اسوأ حالاً من اهل القدرة الذين يفرّطون باقتدارهم في غضبهم وسرعة رضاهم فانه لو وصف بصفة من يتلبّس بعقله او يتخبّطه المسّ من يعاقب في غضبه غير من اغضبه و يحبو عند رضاه غير من ارضاه لكان جائزًا في صفته

اعلم ان الملك ثلاثة ملك دين وملك حزم وملك هوى فاما ملك الدين فانه اذا اقيم لاهله دينهم وكان دينهم هو الذي يعطيهم ما لهم ويلحق بهم الذي عليهم ارضاهم ذلك ونزل الساخط منهم منزلة الراضي في الاقرار والتسليم واما ملك الحزم فانه يقوم به الامر ولا يسلم من الطعن والتسخط ولن يضر طعن الذليل مع حزم القوي واما ملك الهوى فلعب ساعة ودمار دهر

اذا كان سلطانك عند جِدّة دولة فرأيت امرًا استقام بغير رأي واعوانًا جزوا بغير نيل وعملاً انجح بغير حزم فلا يغرنكَ ذلك فلا تستنم اليه فان الامر الجديد مما تكون له مهابة في انفس اقوام وحلاوة في انفس آخرين فيعين قوم بانفسهم ويعين قوم بما قبلهم ويستتب بذلك الامر غير طويل ثم تصير الشؤون الى حقائقها واصولها فما كان من الامر بني على غير اركانٍ وثيقةٍ ولا عماد محكم اوشك ان يتداعى ويتصدّع

لا تكوننّ نزرَ الكلام والسلام ولا تفرطن بالهشاشة والبشاشة فان احداهما من الكبر والاخرى من السُّخف

اذا كنت لا تضبط امرك ولا تصول على عدوك الا بقوم لست منهم على ثقة من رأي ولا حِفاظٍ من نية فلا تنفعك نافعة حتى تحوّلهم ان استطعت الى الرأي والادب الذي بمثله تكون الثقة او تستبدل بهم ان لم تستطع نقلهم الى ما تريد ولا تغرنك قوتك بهم وانما انت في ذلك كراكب الاسد الذي يهابه من نظر اليه وهو لمركبه اهيب

ليس للملك ان يغضب لان القدرة من وراء حاجته . وليس له ان يكذب لانه لا يقدر احد على استكراهه على غير ما يريد . وليس له ان يبخل لانه اقل الناس عذرًا في تخوّف الفقر وليس له ان يكون حقودًا لان خطره قد عظم عن مجازاة كل الناس . فليتقِ ان يكون حلّافًا واحق الناس باتقاء الايمان الملوك فانما يحمل الرجل على الحلف احدى هذه الخلال اما مهانة يجدها في نفسه وضرعٌ وحاجة الى تصديق الناس اياه واما عيٌّ بالكلام حتى يجعل الأيمان له حشوًا ووصلاً واما تهمة قد عرفها من الناس لحديثه فهو ينزّل نفسه منزلة من لا يُقبل منه قوله الا بعد جُهد اليمين واما عبث في القول او ارسال اللسان على غير روّية ولا تقدير

لا عيب على الملك في تعيشه وتنعمه اذا تعهد الجسيم من امره وفوّض ما دون ذلك الى الكفاة

كل الناس حقيق حين ينظر في امر الناس ان يتهم نظره بعين الريبة وقلبه بعين المقت فانهما يُريان الجور ويحملان على الباطل ويقبحان الحسن ويحسّنان القبيح واحق الناس باتهام عين الريبة وعين المقت الملك الذي ما وقع في قلبه ربا مع ما يُقيّض له من تزيين القرناء والوزراء واحق الناس

باجبار نفسه على العدل في النظر والقول والفعل الوالي الذي ما قال او فعل كان امرًا نافذًا غير مردود

ليعلم الوالي أنّ الناس يصفون الولاة بسوء العهد ونسيان الود فليكابد نقضَ قولهم وليبطل عن نفسه وعن الولاة صفاتِ السوء التي يوصفون بها

ليتفقد الوالي فيما يتفقد من امور الرعية فاقةَ الاحرار منهم فليعمل في سدها وطغيانَ السفلة منهم فليقمعه وليستوحش من الكريم الجائع واللئيم الشبعان فانما يصول الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع · لا يحسدن الوالي من دونه فانه في ذلك اقل عذرًا من السوقة التي انما تحسد من فوقها وكلٌّ لا عذر له * لا يلومنّ الوالي على الزلة من ليس بمتهم على الحرص على رضاه الا لومَ ادب وتقويم ولا يَعدلنّ بالمجتهد في رضاه البصير بما يأتي احدًا فانهما اذا اجتمعا في الوزير او الصاحب نام الوالي واستراح وجُلبت اليه حاجاته وان هدأ عنها وعمل فيما يهمه وان غفل * ولا يولعنّ الوالي بسوء الظن لقول الناس وليجعل لحسن الظن من نفسه نصيبًا موفورًا يروّح به عن قلبه ويُصدر به اعماله * لا يضيعنّ الوالي التثبت عند ما يقول وعند ما يعطي وعند ما يفعل فان الرجوع عن الصمت احسن من الرجوع عن الكلام وان العطية بعد المنع اجمل من المنع بعد الاعطاء وان الاقدام على العمل بعد التأني فيه احسن من الامساك عنه بعد الاقدام عليه وكل الناس محتاج الى التثبت واحوجهم اليه ملوكهم الذين ليس لقولهم وفعلهم دافع وليس عليهم مستحثّ *

ليعلم الوالي ان الناس على رأيه الاّ من لا بال له منهم فليكن للبرّ والمروءة عنده نفاقٌ فيستكسد بذلك الجورَ والدناءة في آفاق الارض

جماع[1] ما يحتاج اليه الوالي رأيان رأي يقوي سلطانه ورأي يزينه في الناس ورأي القوة احقهما بالبداية واولاهما بالأثرة ورأي التزيين احضرهما حلاوةً واكثرهما اعواناً مع ان القوة من الزينة والزينة من القوة لكن الامر ينسب الى اعظمه

ان شغلت بصحبة الملوك فعليك بطول الرابطة في غير معاتبة ولا يحدثنَّ لك الاستئناس غفلةً ولا تهاوناً * اذا رأيت احدهم يجعلك اخاً فاجعله اباً ثم ان زادك فزده * اذا نزلت من ذي منزلة او سلطان فلا ترينَّ ان سلطانه زادك له توقيراً واجلالاً من غير ان يزيدك وداً ولا نصحاً وانك ترى حقاً له التوقير والاجلال وكن في مداراته والرفق به كالمؤتنف[2] ما قبله ولا تقدّر الامر بينك وبينه على ما كنت تعرف من اخلاقه فان الاخلاق مستحيلة مع الملك وربما رأينا الرجل المدِلَّ على ذي السلطان بقِدَمه قد اضرَّ بهِ قدمه*لا تعتذرنَّ الا الى من يحب ان يجد لك عذراً ولا تستعيننَّ الا بمن يحب ان يظفَر لك بحاجتك · لا تحدّثنَّ الا من يرى حديثك مغنماً ما لم يغلبك الاضطرار· اذا غرست من المعروف غرساً وانفقت عليه نفقةً فلا تَضِنَنَّ بالنفقة في تربية ما غرست فتذهب النفقة الاولى ضياعاً · اذا اعتذر اليك معتذر فتلقَّه بوجهٍ مُشرق وبشرٍ طليق الا ان يكون ممن قطيعته غنيمة

اعلم أنَّ اخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا · زينةٌ في الرّخاء · وعدّةٌ في الشدَّة · ومعونة على المعاش والمعاد فلا تفرّطن في اكتسابهم وابتغاء

---

(١) جماع الشيء جمعه ومنه الخمر جماع الاثم (٢) ائتنف واستأنف واحد

الوصلات والاسباب اليهم. اعلم انك واجدٌ رغبتك من الإخاء عند اقوام قد حالت بينك وبينهم بعض الأُبهة التي قد تعتري اهل المروآت فتحجز منهم كثيرًا ممن يرغب في امثالهم فاذا رأَيت احدًا من اولئك قد عثر به الزمان فأَقله. اذا عرفت نفسك من الوالي بمنزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملَق ولا تكثرنَّ من الدعاء له في كل كلمة فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة الا ان تكلمهُ على رؤوس الناس فلا تأْلُ عما عظَّمهُ ووقَّره. ان استطعت الا تصحب من صحبت من الولاة الا على شُعْبَةٍ من قرابةٍ او مودة فافعل فان اخطأَك ذلك فاعلم أَنَّك تعمل على عمل السخرة وان استطعت ان تجعل صحبتك لمن قد عرفك منهم بصالح مروَّتك قبل ولايته فافعل. انَّ الوالي لا علم له بالناس الا ما قد علم قبل ولايته فاما اذا ولي فكل الناس يلقاه بالتزيُّن والتصنُّع وكلهم يحتال لان يُثنى عليه عنده بما ليس فيه غير ان الارذال والانذال هم اشدُّ لذلك تصنعًا وعليه مكابرةً وفيه تمحُّلاً فلا يمتنعُ الوالي وان كان بليغَ الرأْي والنظر من ان ينزل عنده كثيرٌ من الاشرار بمنزلة الاخيار وكثيرٌ من الخانة بمنزلة الامناء وكثيرٌ من الغَدَرَة بمنزلة الاوفياء ويغطَّى عليه امرُ كثيرٍ من اهل الفضل الذين يصونون انفسهم عن التمحّل والتصنّع. لا يعرفنَّك الولاةُ بالهوى في بلدة من البلدان ولا قبيلةٍ من القبائل فيوشك ان تحتاج فيها الى حكايةٍ او مشاهدةٍ فتتَّهم في ذلك واذا اردت ان يُقبَل قولك فصحح رأْيك ولا تشعرنَّه بشيء من الهوى فان الرأْي يقبله منك العدو والهوى يرده به عليك الوالد واحق من احترست من ان يظن بك خلطَ الرأْي بالهوى الولاةُ فانها خديعة وخيانة وكفر. ان ابتليت بصحبة

والٍ لا يريد صلاح رعيةٍ فاعلم انك قد خُيّرت بين خَلّتين ليس بينهما
خيار اما ميلك مع الوالي على الرعية وهذا هلاك الدين واما الميل مع الرعية
على الوالي وهذا هلاك الدنيا ولا حيلة لك الا بالموت او الهرب ٠ واعلم أنّهُ
لا ينبغي لك وان كان الوالي غير مَرضيّ السيرة اذا علِقت حبالك بحبله الا
المحافظة عليه الا ان تجد الى الفراق الجميل سبيلاً *تبصر ما في الوالي من
الاخلاق التي تحب والتي تكره وما هو عليه من الرأي الذي يرضى له والذي
لا يرضى ثم لا تكابره بالتحويل له عما يحب ويكره الى ما تحب وتكره فان
هذه رياضة صعبة تحمل على التنائي والقلى * واعلم انك قلما تقدر على رد
رجل عن طريقته التي هو عليها بالمكابرة والمناقضة وان لم يجمح عن السلطة
ولكنك تقدر ان تعينه على احسن رأيه وتسبب له منه وتقويه فيه فاذا
قويت منهُ المحاسن كانت هي التي تكفيك المساوي واذا استحكمت منهُ ناحية
من الصواب كان ذلك هو الذي يبصره الخطاء بالطف من تبصيرك واعدل
من حكمك في نفسه فان الصواب يريد بعضهُ بعضاً ويدعو بعضه الى بعض
فاذا كانت لهُ مكانة اقتلع الخطاء فاحفظ هذا الباب وأحكمه * ولا يكوننّ
طلبك ما عند الوالي بالمسألة ولا تستبطئهُ وان ابطأ ولكن اطلب ما قبله
بالاستحقاق له واستأنِ وان طالت الاناءة فانك اذا استحققتهُ اتاك من غير
طلب وان لم تستبطئهُ كان اعجل له لا تخبرنّ الوالي أنّ لك عليه حقاً وانك
تعتد عليه ببلاء وان استطعت ان ينسى حقك وبلاءك فافعل * وليكن
ما تذكره من ذلك تجديدك له النصيحة والاجتهاد والّا يزال ينظر منك
الى آخرٍ يذكّرهُ اول بلائك * واعلم ان وليّ الامر اذا انقطع عنه الآخر

نسي الاول وان الكثير من اولئك ارحامهم مقطوعة وحبالهم مصرومة الا
عمن رضوا عنه واغنى عنهم في يومهم وساعتهم * اياك ان يقع في قلبك
تعتب على الوالي او استزادة له فانه ان آنست ان يقع في قلبك بدا في
وجهك ان كنت حليماً وبدا على لسانك ان كنت سفيهاً وان لم يزد ذلك
على ان يظهر في وجهك لآمنِ الناس عندك فلا تأمننَّ ان يظهر ذلك للوالي
فان الناس اليهِ بعورات الاخوان سِراعٌ فاذا ظهر ذلك للوالي كان قلبه هو
اسرع الى التعتب والتعزّز من قلبك فمحق ذلك حسناتك الماضية واشرف
بك على الهلاك وصرت تعرف امرك مستدبراً وتلتمس مرضاته مستصعباً ·
اعلم ان اكثر الناس عدوّاً مجاهراً حاضراً جريئاً واشياً وزير السلطان
ذو المكانة عنده لإنه منفوس (١) عليهِ بما يُنفس على صاحب السلطان ومحسود
كما يحسد غيره انه يُجترأ عليهِ ولا يجترأ على ذلك لان من محاسديه احباءَ
السلطان الذين يشاركونه في المداخل والمنازل وهم وغيرهم من عدوه الذين
هم حضّاره وليسوا كعدو من فوقه النائي عنه المكتتم منه وهم لا ينقطع طمعهم
من الظفر بهِ فلا يغفلون عن نصب الحبائل فاعرف هذه الحال والبس لهؤلاء
القوم الذين هم اعداؤك سلاح الصحة والاستقامة ولزوم الحُجّة فيما تسر
وتعلن ثم روح من قلبك كانه لا عدو لك ولا حاسد وان ذكرك ذاكر
عند ولي الامر بسوء في وجهك او في غيبك فلا يرَينَّ منك الوليّ ولا
غيره اختلاطاً لذلك ولا اغتياظاً ولا يقعنَّ ذلك موقع ما يكرثك فانه ان
وقع منك ذلك الموقع ادخل عليك اموراً مشتبهة بالريب مذكّرة لما قال

---

(١) نفس عليه نفساً ونفاسةً حسده

فيك العائب وان اضطرك الامر في ذلك الى الجواب فاياك وجواب الغضب والانتقام وعليك بجواب الحجة في حلم ووقار ولا تشكنّ في ان القوة والغلبة للحليم ابدًا * لا تحضرن عند الوالي كلامًا لا يعني ولا يؤمر بحضوره الا لعناية به او يكون جوابًا بالشيء سئلت عنه ولا تعدنّ شتم الوالي شتمًا ولا اغلاظه اغلاظًا فان ريح العز قد تبسط اللسان بالفاظ في غير سخط ولا بأس * جانب المسخوط عليه والظنين به عند الولاة ولا يجمعنك واياه مجلس ولا تظهرنّ له عذرًا ولا تثنينّ عليهِ خيرًا عند احد من الناس فاذا رأيتهُ قد بلغ من الإعتاب (١) مما سخط عليه فيه ما ترجو ان يلين له الوالي واستيقنت أنّ الوالي قد استيقن بمباعدتك اياه وشدّتك عليه فضع عذره عند الوالي واعمل في ارضائه عنه في رفق ولطف * ليعلم الوالي انك لا تستنكف عن خدمته ولا تدع مع ذلك ان تقدم اليه القول عند بعض حالات رضاه وطيبِ نفسه في الاستعفاء من الاعمال التي يكرهها ذو الدين وذو العرض وذو المروءة من ولاية القتل والعذاب واشباه ذلك

اذا اصبت الجاه والخاصة عند الملك فلا يحدثنّ لك ذلك تغيرًا على احد من اهله واعوانه ولا استغناءً عنهم فانك لا تدري متى ترى ادنى جفوةٍ فتذلَّ لهم فيها وفي تلون الحال عند ذلك من العار ما فيه ·

ليكن مما تحكم من امرك ان لا تسارّ احدًا من الناس ولا تهمس اليه بشيء تخفيه عن السلطان فان السِرار مما يخيل كل من رآه انه المراد به فيكون ذلك في نفسه حسيكةً (٢) ووَغرًا وثقلاً

---

(١) الرجوع عن الاساءة الى ما يرضى العائب (٢) الحقد والعداوة

لا تتهاونن بارسال الكَذِبَة عند الوالي او غيره في الهزل فانها تسرع في رد الحق وابطال الصدق مما تأتي بهِ . تكتب فيما بينك وبين الوالي خلقاً قد عرفناه في بعض الاعوان والاصحاب في ادعاء الرجل عند ما يظهر من صاحبه من حسن اثر او صواب رأي انه هو عمل في ذلك واشار به واقراره بذلك اذا مدحه مادح بل وان استطعت ان يعرف صاحبك انك تنحله صواب رأيك(١) فضلاً عن انك تدّعي صوابه وتسند ذلك اليه وتزينه فافعل * فان الذي انت آخذ بذلك اكثر مما انت معطٍ باضعاف

اذا سأل الوالي غيرك فلا تكوننَّ انت المجيبَ عنه فان استلابك الكلام خفة بك واستخفاف منك بالمسؤول والسائل . وما انت قائل اذا قال لك السائل ما اياك سألت او قال لك المسؤول عند المسألة يعاد له بها دونك فاجب . واذا لم ينصب السائل في المسألة لرجل واحد وعمّ بها جماعة من عنده فلا تبادر بالجواب ولا تسابق الجلساء ولا تواثب الكلام مواثبةً فان في ذلك مع شين التكلف والخفة أنَّك اذا سبقت القوم الى الكلام صاروا لكلامك خصماء فيتعقبونه بالعيب والطعن واذا انت لم تعجل بالجواب وخليته للقوم اعترضت اقاويلهم على عينك ثم تدبرتها وفكرت فيما عندك ثم هيأت من تفكيرك ومحاسن ما سمعت جواباً رضياً واستدبرت به اقاويلهم حتى تصيخ اليك الاسماع ويهدأ عنك الخصوم وان لم يبلغك الكلام حتى تكتفي بغيرك او ينقطع الحديث قبل ذلك فلا يكون من العيب عندك ولا من الغبن في نفسك فوتُ ما فاتك من الجواب فان صيانة القول خير من سوء

---

(١) تدّعيه لهُ

وضعه وان كلمة واحدة من الصواب تصيب موضعها خيرٌ من مئة كلمة امثالها في غير فرصها ومواضيعها مع ان كلام العجلة والبدار موكل به الزلل وسوء التقدير وان ظن صاحبه ان قد اتقن واحكم.

واعلم ان هذه الامور لا تُنال الا برُحب الذَّرْع عند ما قيل وما لم يقل وقلة الاعظام لما ظهر من المروَّة او لم يظهر وسخاوةِ النفسَ عن كثير من الصواب مخافةَ الخلاف والعجلة والحسد والمراء

اذا كلمك الوالي فاصغ الى كلامه ولا تشغل طرفك عنه بنظر ولا اطرافك بعمل ولا قلبك بحديث نفسك واحذر هذا من نفسك وتعهد ما فيه

ارفق بنظرائك من وزراء السلطان ودخلائه واتخذهم اخوانًا ولا تتخذهم اعداء ولا تنافسهم في الكلمة يتقربون بها والعمل يؤْمرون به فانما انت في ذلك احد رجلين اما ان يكون عندك فضل على ما عند غيرك فسوف يبدو ذلك ويحتاج اليه ويلتمس منك وانت مجمل واما ان لا يكون ذلك عندك فما انت مصيب من حاجتك عندهم بمقاربتك وملاينتك وما انت واجد في موافقتك اياهم ولينك لهم من موافقتهم اياك ولينهم لك افضلُ مما انت مدركه بالمنافسة والمناظرة

ولا تجترئنَّ على خلاف اصحابك عند الوالي ثقةً باعترافهم لك ومعرفتهم بفضل رأْيك فانَّا قد رأَينا الناس يعرفون فضل الرجل وينقادون له ويتعلمون منه وهم اخلياء فاذا حضروا ذا السلطان لم يرض احد منهم ان يقرَّ له وان يكون له عليه في الرأْي والحلم فضلٌ فاجترأُوا عليه بالخلاف والنقض فان ناقضهم كان كاحدهم وليس بواجدٍ في كل حين سامعًا فهِمًا وقاضيًا عدلاً

وان ترك مناقضتهم صار مغلوب الرأي مردود القول

اذا اصبت عند الوالي لطف منزلة لغناء يجده عندك او هوى يكون له فيك فلا تطمحنَّ كل الطِّماح ولا تزيننَّ لك نفسك المزايلةَ له عن اليفهِ وموضع ثقته وسره قبلك بان تقتلعه وتدخل دونه فان هذه خلةٌ من خلال السفه قد يبتلى بها الحلماء عند الدنو من ذي السلطان حتى يحدّث الرجل منهم نفسه ان يكون دون الاهل والولد لفضل يظنه في نفسه او نقص يظنه بغيره ولكل رجل من الملوك او ذي هيئة من السوقة اليفٌ وانيسٌ قد عرف روحه واطلع على قلبه فليست عليه مؤونة في تبذُّل يتبذل له عنده او رأي يستزله منه او سرّ يُفشيه اليه غير ان تلك الأَنسة وذلك التبذل يستخرج من كل واحد منهما ما لم يكن ليظهر منه عند الانقباض والتشدُّد ولو التمس ملتمسٌ مثل ذلك عند من يستأنف ملاطفته وموآنسته ان كان ذا فضل من الرأي والعلم لم يجد عنده مثل ما هو منتفع به ممن هو دون ذلك في الرأي ممن قد كفى موآنسته ووقع على طباعه لان الأَنسة رَوْح القلب والوحشة رَوْع عليه ولا يلتاط[1] بالقلوب الاّ ما لان عليها ومن استقبل تأسيس الوحشة استقبل امرًا ذا مؤونة[2] فاذا كلفتك نفسك السموّ الى منزلة من وصفت فاقدعْها عن ذلك بمعرفة فضل الاليف والانيس واذا حدثتك نفسك او غيرك لعله ممن يكون له فضل في المروّة أَنَّك اولى بالمنزلة عند الكبير من بعض دخلائه وثقاته فاذكر الذي عليه من حق اليفه وثقته وانيسه في التكرمة والذي يعينه على ذلك من الرأي انهُ يجد عنده من

(١) يلزق (٢) كلفة

الإلف والأُنس ما ليس واجدًا عند غيره فليكن هذا مما تتحفظ فيه على نفسك وتعرف فيه عذر الرجل ورأيه والرأي لنفسك في مثل ذلك ان اراذك مريد على الدخول دون انيسك واليفك وموضع ثقتك وجدك وهزلك

اعلم انه تكاد تكون لكل رجل غالبة حديث اما عن بلد من البلدان او ضرب من ضروب العلم او صنف من صنوف الناس او وجه من وجوه الرأي وعند ما يعزم به الرجل من ذلك يبدو منه السخف ويعرف منه الهوى فاجتنب ذلك في كل موطن ثم عند اولي الامر خاصةً لا تشكونّ الى وزراء السلطان ودخلائه ما اطلعت عليه من رأي تكرهه له فانك لا تزيد على ان تُفطنهم لميله وتغريهم بتزيين ذلك له والميل عليك معه

اعلم ان الرجل ذا الجاه عند الوالي والخاصة لا محالة انّه يرى من الوالي ما يخالفه من الرأي في الناس والامور فاذا آثر ان يكره كل ما يخالفه او يمتعض من الجفوة يراها في المجلس او النبوة في الحاجة او الرد للرأي او الادناء لمن يهوى ادناءه والاقصاء لمن يكره اقصاءه فاذا وقعت في قلبه الكراهية تغير لذلك وجهه ورأيه وكلامه حتى يبدو ذلك للوالي وغيره كان ذلك لفساد منزلته سببًا فذلل نفسك باحتمال ما خالفك من رأي الولاة وقررها بانهم انما كانوا اولياءك لتتبعهم في ارائهم واهوائهم ولا تكلفهم اتباعك وتغضب من خلافهم اياك

اعلم ان الملوك يقبلون من وزرائهم التبخيل ويعدونه منهم مشفقةً ونظرًا ويحمدونهم عليه وان كانوا اجوادًا فان كنت مبخلاً غششت صاحبك بفساد مروءته وان كنت مسخيًا لم تأمن اضرار ذلك بمنزلتك عنده فالرأي

لك تصحيح النصيحة على وجهها والتماس المخرج فيما تترك من تبخيل صاحبك بان لا يعرف منك فيما تدعوه اليه ميلاً الى شيء من هواك ولا طلباً لغير ما ترجوان يزينه وينفعه * لا تكونن صحبتك للملوك الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك وموافقتهم فيما خالفك وتقدير الامور على ميلهم دون ميلك وعلى ان لا تكتمهم سرّك ولا تستطلع ما كتموه وتخفي ما اطلعوك عليه من الناس كلهم حتى تحمي نفسك الحديث به وعلى الاجتهاد في رضاهم والتلطف لحاجاتهم والتثبت لحجتهم والتصديق لمقالتهم والتزيين لرأيهم وعلى قلة الاستقباح لما فعلوا اذا اساءوا وترك الاستحسان لما فعلوا اذا احسنوا وكثرة النشر لمحاسنهم وحسن الستر لمساويهم والمقاربة لمن قاربوا وان كان بعيداً والمباعدة لمن باعدوا وان كانوا اقرباء والاهتمام بامرهم وان لم يهتموا به والحفظ له وان ضيعوه والذكر له وان نسوه والتخفيف عنهم لمؤونتك والاحتمال لهم كل مؤونة والرضى عنهم بالعفو وقلة الرضى من نفسك لهم بالمجهود فان وجدت عنهم وعن صحبتهم غنى فاغن عن ذلك نفسك واعتزله جهدك فان من يأخذ عملهم يحول بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ومن لا يأخذ بحقه يحتمل الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة · انك لا تأمن أنفهم ان اعلمتهم ولا عقوبتهم ان كتمتهم ولا تامن غضبهم ان صدقتهم ولا تامن سلوتهم ان حدثتهم ان لزمتهم لم تامن تبرمهم بك [1] وان زايلتهم لم تامن عقابهم · انك ان تستأمرهم حملت المؤونة عليهم وان قطعت الامر دونهم لم تامن فيه مخالفتهم · انهم ان سخطوا عليك اهلكوك وان

(١) مللهم منك

رضوا عنك تكلفت من رضاهم ما لا تطيق فان كنت حافظاً ان بلوك جلداً ان قربوك اميناً ان ائتمنوك تشكرهم ولا تكلفهم الشكر بصيراً باهوائهم مؤثراً لمنافعهم ذليلاً ان ظلموك راضياً ان اسخطوك والا فالبعد منهم كل البعد والحذر كل الحذر

باب الصديق

ابذل لصديقك دمك ومالك ولمعرفتك رفدك ومحضرك وللعامة بشرك وتحننك ولعدوك عدلك واضنن بدينك وعرضك عن كل احد . ان سمعت من صاحبك كلاماً او رأياً يعجبك فلا تنتحله تزيناً به عند الناس واكتف من التزين بان تجتني الصواب اذا سمعته وتنسبه الى صاحبه * واعلم ان انتحالك ذلك سخطة لصاحبك وان فيه مع ذلك عاراً فان بلغ ذلك بك ان تشير برأي الرجل وتتكلم بكلامه وهو يسمع جمعت مع الظلم قلة الحياء وهذا من سوء الادب الفاشي في الناس ومن تمام حسن الخلق والادب ان تسخو نفسك لاخيك بما انتحل من كلامك ورأيك وتنسب اليه رايه وكلامه وتزينه مع ذلك ما استطعت . لا يكوننّ من خلقك ان تبتديّ حديثاً ثم تقطعه وتقول سوف كانك روّأت[1] فيه بعد ابتدائه وليكن ترويك فيه قبل التفوّه فان احتجان[2] الحديث بعد افتتاحه سخف . اخزن عقلك وكلامك الا عند اصابة الموضع فانه ليس في كل حين يحسن كل الصواب وانما تمام

(١) روّأ في الامر تروئة وترويئاً نظر فيه وتعقبه ولم يعجل بجواب وهي الرويئة وقيل الروية بغير همز وهو الاشهر (٢) احتجنه حجره او اختزنه

اصابة الراي والقول باصابة الموضع فان اخطأك ذلك ادخلت المحنة على علمك حتى تاتي به ان اتيت به في غير موضعه وهو لا بهاء ولا طلاوة له ·
لتعرف العلماء حين تجالسهم انك على ان تسمع احرص منك على ان تقول ·
ان آثرت ان تفاخر احداً ممن تستأنس اليه في لهو الحديث فاجعل غاية ذلك الجد ولا تعدونّ ان تتكلم فيه بما كان هزلاً فاذا بلغ الجد او قاربه فدعه ولا تخلطنّ بالجد هزلاً ولا بالهزل جدّاً فانك ان خلطت بالجد هزلاً هجّنته وان خلطت بالهزل جدّاً كدرته غير اني قد علمت موطناً واحداً فان قدرت ان تستقبل فيه الجد بالهزل اصبت الرأي وظهرت على الاقران وذلك ان يتورّدك متورّد بالسفه والغضب فتجيبه اجابة الهازل المداعب برحب من الذرع وطلاقة من الوجه وثبات من المنطق
ان رأيت صاحبك مع عدوك فلا يغضبنك ذلك فانما هو احد رجلين ان كان رجلاً من اخوان الثقة فانفع مواطنه لك اقربها من عدوك لشرّ يكفيه عنك وعورة يسترها منك وغائبة يطلع عليها لك فاما صديقك فما اغناك ان يحضره ذو ثقتك وان كان رجلاً من غير خاصة اخوانك فباي حق تقطعه عن الناس وتكلفه ان لا يصاحب ولا يجالس الا من تهوى ·
تحفظ في مجلسك وكلامك من التطاول على الاصحاب وطب نفساً عن كثير مما يعرض لك فيه صواب القول والرأي مداراةً لئلا يظن اصحابك ان ما بك التطاولُ عليهم · اذا اقبل اليك مقبل بوده فسرّك الا يدبر عنك فلا تنعم[1] الاقبال عليه والتفتح له فان الانسان طبع على ضرائب لؤم فمن

(١) تزد

شأنه ان يرحل عمن لصق به ويلصق بمن رحل عنه*لا تكثرنَّ ادعاء العلم في كل ما يعرض فانك من ذلك بين فضيحتين اما ان ينازعوك فيما ادعيت فيُهجم منك على الجهالة والصلَّف[1] واما الاَّ ان ينازعوك ويخلوا الامور في يديك فينكشف منك التصنع والمعجزة * استحي الحياء كله من ان تخبر صاحبك انك عالم وانه جاهل مصرحاً او معرّضاً وان استطلت على الاكفاء فلا تثقن منهم بالصفاء ان آنست من نفسك فضلاً فتحرج[2] ان تذكره او تبديه فاعلم ان ظهوره منك بذلك الوجه يقرر لك في قلوب الناس من العيب اكثر مما يقدر لك من الفضل واعلم انك ان صبرت ولم تعجل ظهور ذلك منك بالوجه الجميل المعروف ولا يخفينَّ عليك أنَّ حرص الرجل على اظهار ما عنده وقلةَ وَقاره في ذلك باب من البخل واللؤم وان من خير الاعوان على ذلك السخاء والتكرّم . ان احببت ان تلبس ثوب الوقار والجمال وتحلى بحلية المودة عند العامة وتسلك الجدَدَ[3] الذي لا جبار[4] فيه ولاعثار فكن عالماً كجاهل وناطقاً كعيّ . فاما العلم فيرشدك واما قلة ادعائه فينفي عنك الحسد واما المنطق اذا احتجت اليه فسيُبلغ حاجتك واما الصمت فيكسبك المحبة والوقار واذا رايت رجلاً يحدث حديثاً قد علمته او يخبر خبراً قد سمعته فلا تشاركه فيه ولا تتعقبه عليه حرصاً على ان يعلم الناس انك قد علمته فان في ذلك خفة وشُحاً وسوء ادب وسخفاً . ليعرف اخوانك والعامة انك ان استطعت ان تكون الى ان تفعل ما لا تقول اقربَ منك الى ان تقول ما لا

---

(١) تجاوز القدر في البراعة والظرف والادعاء فوق ذلك (٢) تضيق

(٣) ما استوى من الارض وفي المثل من سلك الجدد امن العثار (٤) هلاك

تفعل فعلت فان فضل القول على الفعل عارٌ وهُجْنةٌ وفضل الفعل على القول زينة وانت حقيق فيما وعدت من نفسك او اخبرت صاحبك عنه ان تحتجن بعض ما في نفسك اعداداً لفضل الفعل على القول وتحرّزاً بذلك عن تقصير فعلٍ ان قصّر وقلما يكون الا مقصراً

احفظ قول الحكيم الذي قال لتكن غايتك فيما بينك وبين عدوك العدلَ وفيما بينك وبين صديقك الرضى وذلك أنّ العدو خصم تضربه بالحجة وتغلبه بالحكام وان الصديق ليس بينك وبينه قاضٍ فانما حكمه رضاه

اجعل عامةَ تشبثك في مؤاخاة من تواخي ومواصلة من تواصل ووطّن نفسك على انه لا سبيل لك الى قطيعة اخيك وان ظهر لك منه ما تكره فانه ليس كالمرأة التي تطلقها اذا شئت ولكنه عرضك ومروءتك فانما مروءة الرجل اخوانه واخدانه فان عثر الناس على انك قطعت رجلاً من اخوانك وان كنت معذراً[1] نزل ذلك عند اكثرهم بمنزلة الخيانة للاخاء والملال وان انت صبرت مع ذلك على مقارّته على غير الرضى عاد ذلك الى العيب والنقيصة فالاتئاد الاتئاد والتثبت التثبت

اذا نظرت في حال من ترتأيه لاخائك فان كان من اخوان الدين فليكن فقيهاً ليس بمراءٍ ولا حريص وان كان من اخوان الدنيا فليكن حرّاً ليس بجاهل ولا كذاب ولا شرير ولا مشنوع فان الجاهل اهلٌ لان يهرب منه ابواه وان الكذاب لا يكون اخاً صادقاً لان الكذب الذي يجري على لسانه انما هو من فضول كذب قلبه وانما سمي الصديق من الصدق وقد

---

(١) اعذر الرجل اذا بلغ اقصى الغاية من العذر

يتّهم صدق القلب وان صدق اللسان فكيف اذا ظهر الكذب على اللسان وان الشرير يكسبك العدو ولا حاجة لك في صداقة تجلب العداوة وان المشنوع شائع صاحبه. تحرّز من سكر السلطة وسكر العلم وسكر المنزلة وسكر الشباب فانه ليس من هذا شيء الا وهو ريح جنة تسلب العقل وتُذهب الوقار وتصرف القلب والسمع والبصر واللسان عن المنافع

اعلم ان انقباضك عن الناس يكسبك العداوة وان تفرّشك[1] لهم يكسبك صديق السوء وفُسولة[2] الاصدقاء اضرّ من بغض الاعداء فانك ان واصلت صديق السوء اعيتك جرائره وان قطعته شانك اسم القطيعة والزمك ذلك من يرفع عيبك ولا ينشر عذرك فان المعايب تنمى والمعاذير لا تنمى[3]. البس للناس لباسين ليس للعاقل بدّ منهما ولا عيش ولا مروّة الا بهما لباس انقباض واحتجاز تلبسه للعامة فلا تلقَينّ الا متحفظاً متشدّداً متحرّزاً مستعداً ولباس انبساط واستئناس تلبسه للخاصة من الثقات فتتلقّاهم ببنات صدرك وتفضي اليهم بموضوع حديثك وتضع عنك مؤونة الحذر والتحفظ فيما بينك وبينهم واهل هذه الطبقة الذين هم اهلها قليلٌ لان ذا الرأي لا يُدخل احداً من نفسه هذا المدخل الا بعد الاختبار والسّبر[4] والثقة بصدق النصيحة ووفاء العقل

اعلم ان لسانك اداة مغلّبة يتغالب عليه عقلك وغضبك وهواك وجهلك

---

(١) انبساطك (٢) نذالة (٣) نمى الحديث ارتفع وأنماه اذاعه على وجه النميمة (٤) التجربة او استخراج كنه الامر وفي حديث الغار قال ابو بكر لا تدخله حتى اسبره قبلك ويستعمل السبر في الجراحات بمعنى قياسها وتقدير غورها

فكل غالب عليه مستمتع ٌ وصارفه في محبته فاذا غلب عليه عقلك فهو لك واذا غلب عليه شيء من اشباه ما سميتُ لك فهو لعدوك فان استطعت ان تحتفظ به فلا يكون الا لك ولا يستولى عليه او يشاركك عدوك فيه فافعل

اذا نابت اخاك احدى النوائب من زوال نعمة او نزول بلية فاعلم انك قد ابتليت معه اما بالمؤاساة فتشاركه في البلية واما بالخذلان فتحتمل العار فالتمس المخرج عند اشتباه ذلك وآثر مروتك على ما سواها فان نزلت الجائحة التي تأبى نفسك مشاركة اخيك فيها فاجمِل[1] فلعل الاجمال يسعك لقلته في الناس

اذا اصاب اخاك فضل فانه ليس في دنوك منه وابتغائك مودته وتواضعك له مذلة فاغتنم ذلك واعمل فيه

اذا كانت لك عند احد صنيعةٌ او كان لك عليه طول فالتمس احياء ذلك بإماتته وتعظيمه بالتصغير له ولا تقتصرنّ في قلة المنّ على ان تقول لا اذكره ولا اصغى بسمعي الى من يذكره فان هذا قد يستحيى منه بعض من لا يوصف بعقل ولا كرم ولكن احذر ان يكون في مجالستك اياه وما تكلمه به او تستعينه عليه او تجاريه فيه شيءٌ من الاستطالة فان الاستطالة تهدم الصنيعة وتكدّر المعروف . احترس من سَورة الغضب وسورة الحمية وسوة الحقد وسورة الجهل واعدد لكل شيء من ذلك عِدةً تجاهده بها من الحلم والتفكر والروية وذكر العاقبة وطلب الفضيلة واعلم انك لا تصيب الغلبَةَ الا بالجهاد وان قلة الإعداد لموافقة الطبائع المتطلّعة هو الاستسلام

(١) اصبر واكتم

وانه ليس احد الا فيهِ من كل طبيعة سوءُ غريزةٍ وانما التفاضل بين الناس في مغالبة طبائع السوء فأما ان يسلم احد من ان تكون فيه تلك الغرائز فليس في ذلك مطمع الا ان الرجل القويّ اذا كابرها بالقمع لها كلها كلما تطلعت لم يلبث ان يميتها حتى كأنها ليست فيه وهي في ذلك كامنة كمون النار في العود فاذا وجدَتْ قادحاً من غير علة او غفلة استورت كما تستورى عند القدح ثم لا يبدأ ضرّها الا بصاحبها كما لا تبدأُ النار الا بعودها التي كانت فيه

ذلل نفسك بالصبر على جار السوء وعشير السوء وجليس السوء فان ذلك ما لا يكاد يُخطئك فان الصبر صبران صبر الرجل على ما يكره وصبره عما يحب فالصبر على المكروه اكثرهما واشبههما ان يكون صاحبه مضطرّاً واعلم ان اللئام اصبر اجساداً والكرام اصبر نفوساً وليس الصبر الممدوح بان يكون جلد الرجل وَقاحاً او رجله قوية على المشي او يده قوية على العمل فانما هذا من صفات الحمير ولكن ان يكون للنفس غلوباً وللامور محتملاً وفي الضر متجمّلاً ولنفسه عند الرأْي والحفاظ مرتبطاً وللحزم مؤثّراً وللهوى تاركاً وللمشقة التي يرجو عاقبتها مستخفاً وعلى مجاهدة الاهواء والشهوات مواظباً ولبصره بعزمه منفذاً

حبب الى نفسك العلم حتى تألفه وتلزمه ويكون هو لهوك ولذتك وسلوتك وبلغتك . واعلم ان العلم علمان علم للمنافع وعلم لتزكية العقل وافشى العلمين وأَحداهما ان ينشط له صاحبه من غير ان يُحرَّض عليه علمُ المنافع وللعلم الذي هو ذكاء العقول وصقالها وجلاؤُها فضيلة منزلة عند اهل الفضل

في الالباب * عوّد نفسك السخاء واعلم انهما سخاآن سخاوةُ نفس الرجل بما في يديه وسخاوته عما في ايدي الناس وسخاوة نفس الرجل بما في يديه اكثرهما واقربهما من ان تدخل فيه المفاخرة وتركه ما في ايدي الناس امحض في التكرم وانزه من الدنس فان هو جمعهما فبذل وعفّ فقد استكمل الجود والكرم

ليكن مما تصرف به الاذى والعذاب عن نفسك الاّ تكون حسوداً فان الحسد خلق لئيم ومن لؤمه انه يوكل بالادنى فالادنى من الاقارب والاكفاء الخلطاء فليكن ما تقابل به الحسد أَنْ تعلم أَنَّ خير ما تكون حين تكون مع من هو خيرٌ منك وأَنَّ غنماً لك ان يكون عشيرك وخليطك افضل منك في العلم فتقبسَ من علمه وافضل منك في القوة فيدفع عنك بقوته وافضل منك في المال فتفيد[1] من ماله وافضل منك في الجاه فتصيب حاجتك بجاهه وافضل منك في الدين فتزداد صلاحاً بصلاحه · ليكن ما تنظر فيه من امر عدوك وحاسدك ان تعلم انه لا ينفعك ان تخبر عدوك انك له عدوٌّ فتنذره نفسك وتؤذنه[2] بحربك قبل الإعداد والفرصة فتحمله على التسلح لك وتوقد ناره عليك

اعلم ان اعظم خطرك ان ترِي عدوك انك لا تتخذه عدوًّا فان ذلك غِرّةٌ له وسبيل لك الى القدرة عليه فان انت قدرت فاستطعت اغتفاراً لعداوته عن ان تكافيَ بها فهنالك استكملت عظيم الخطر وان كنت مكافئاً بالعداوة والضرر فاياك ان تكافيَ عداوة السر بعداوة العلانية وعداوة الخاصة

---

(١) افاد مثل استفاد (٢) أذن بالشيء علم ومنه في التنزيل فاذنوا بحرب من الله ورسوله

بعداوة العامة فان ذلك هو الظلم والعار. واعلم مع ذلك انهُ ليس كل العداوة والضرر يكافأُ بمثله كالخيانة لا تكافأُ بالخيانة والسرقة لا تكافأُ بالسرقة ومن الحيلة في امرك مع عدوك ان تصادق اصدقاءه وتؤاخي اخوانه فتدخل بينه وبينهم في سبيل الشقاق والتجافي فانه ليس رجل ذو طُرُقٍ[1] يمتنع من مؤاخاتك اذا التمست ذلك منه وان كان اخوانُ عدوك غيرَ ذوي طرق فلا عدو لك *لا تدع مع السكوت عن شتم عدوك احصاء معايبه ومثالبه واتباع عوراته حتى لا يشذ عنك من ذلك صغير ولا كبير من غير ان تشيع عليه فينقيك به ويستعد له او تذكره في غير موضعه فتكون كمستعرض الهواء بنبله قبل امكان الرمي * لا تتخذ اللعن والشتم على عدوك سلاحاً فانه لا يجرح في نفس ولا في مال ولا دين ولا منزلة *ان اردت ان تكون داهياً فلا تحبنَّ ان تسمى داهياً فانه من عرف بالدهاء خاتلَ علانية وحذره الناس حتى يمتنع منه الضعيف وان من ارب الاريب دفنَ اربه ما استطاع حتى يُعرَف بالمسامحة في الخليقة والطريقة ومن اربه ألاَّ يؤارب العاقل المستقيم له الذي يطلع على غامض اربه فيمقته عليه

ان اردت السلامة فأشعر قلبك الهيبة للامور من غير ان تظهر منك الهيبة فيفطنَ الناس لهيبتك ويجرّئهم عليك ويدعو ذلك اليك منهم كل ما تهاب فاشعَبْ لمداراة ذلك من كتمان المهابة واظهار الجراءة والتهاون طائفةً من رأيك. وان ابتُليت بمجازاة عدو مخالف فالزم هذه الطريقة التي وصفت لك من استشعار الهيبة واظهار الجراءة والتهاون وعليك بالحذر في

(١) اي صاحب مداخلات كما يقال في هذه الايام

امرك والجراءة في قلبك حتى تملأ قلبك جراءة ويستفرغ عملك الحذر

ان عدوك من تعمل في هلاكه ومنهم من تعمل في البغد عنه فاعرفهم على منازلهم ومن اقوى القوة لك على عدوك واعز انصارك في الغلبة ان تحصي على نفسك العيوب والعورات كما احصيتها على عدوك وتنظر عند كل عيب تراه او تسمعه لاحد من الناس هل قارفت مثله او مشاكله فان كنت قارفت منه شيئا فأحصه فيما تحصى على نفسك حتى اذا احصيت ذلك كله فكابر عدوك باصلاح عيوبك وتحصين عوراتك وإحراز مقاتلك وخذ نفسك بذلك ممسياً مصبحاً فاذا آنست منها دفعاً لذلك او تهاوناً به فاعدد نفسك عاجزاً ضائعاً جانياً معوراً[1] لعدوك ممكناً له من رميك وإن حصل من عيوبك بعض ما لا تقدر على اصلاحه من امرٍ قد مضى يعيبك عند الناس ولا تراه انت عيباً فاحفظ ذلك وما عسى ان يقول فيه قائل من حسبك او مثالب ابائك او عيب اخوانك ثم اجعل ذلك كله نصب عينيك واعلم ان عدوك مريدك بذلك فلا تغفل عن التهيؤ له والاعداد لقوتك وحجتك وحيلتك فيه سرًّا وعلانية فاما الباطل فلا تروّعنّ به قلبك ولا تستعدنّ له ولا تشتغلنّ به فانه لا يهولك ما لم يقع واذا وقع اضمحل

اعلم انه قلما بُدِه[2] احد بشيء يعرفه من نفسه وقد كان يطمع في اخفائه عن الناس فيعيّره به معير عند السلطان او غيره الا كاد يشهد به عليه وجهه وعيناه ولسانه للذي يبدو منه عند ذلك والذي يكون من انكساره وفتوره عند تلك البداهة فاحذر هذه وتصنع لها وخذ اهبتك لبغتاتها

(١) من اعور الفارس اذا بدا فيه موضع خلل للضرب (٢) فوجئ

واعلم ان من اوقع الامور في الدين وانهكها للجسد واتلفها للمال واضرها بالعقل واسرعها في ذهاب الجلالة والوقار الغرام بالنساء ومن البلاء على المغرم بهنّ انه لا ينفك يأجم[1] ما عنده وتطمح عيناه الى ما ليس عنده منهنّ وانما النساء اشباهٌ وما يرى في العيون والقلوب من فضل مجهولاتهنّ على معروفاتهنّ باطلٌ وخدعةٌ بل كثير مما يرغب عنه الراغب مما عنده افضل مما تتوق اليه نفسه وانما المترغّب عما في رحله منهنّ الى ما في رحال الناس كالمترغب عن طعام بيته الى ما في بيوت الناس بل النساء بالنساء اشبه من الطعام بالطعام وما في رحال الناس من الاطعمة اشد تفاضلاً وتفاوتاً مما في رحالهم من النساء . ومن العجب ان الرجل الذي لا بأس في لبه يرى المرأة من بعيدٍ متلففةً في ثيابها فيصوّرُ لها في قلبه الحسن والجمال حتى تعلقَ بها نفسه من غير رؤية ولا خبر مخبر ثم لعله يهجم منها على اقبح القبح وادمِّ الدمامة فلا يعظه ذلك عن امثالها ولا يزال مشغوفاً بما لم يذق حتى لو لم يبق في الارض غير امرأة واحدة لظن ان لها شأناً غيرَ شأن ما ذاق وهذا هو الحمق والشقاء ومن لم يحمِ نفسه ويظلفها[2] ويجلها عن الطعام والشراب والنساء في بعض ساعات شهوته وقدرته كان ايسر ما يصيبه من وبال امره انقطاع تلك اللذات عنه بخمود نار شهوته وضعف عوامل جسده وقلّ من تجد الا مخادعاً لنفسه في امر جسده عند الطعام والشراب والحمية والدواء وفي امر

---

(١) اجم الطعام وغيره كرهه ومله (٢) ظلف نفسه عن الشيء منعها عن ان تأتيه قال الشاعر

لقد اظلف النفس عن مطعمٍ اذا ما تهافت ذبانه

مروءته عند الاهواء والشهوات وفي امر دينه عند الريبة والشبهة والطمع

ان استطعت ان تنزل نفسك دون غايتك في كل مجلس ومقام ومقال ورأي وفعل فافعل فان رفع الناس اياك فوق المنزلة التي تحط اليها نفسك وتقريبهم اياك في المجلس الذي تباعدت عنهُ وتعظيمهم من امرك ما لم تعظم وتزيينهم من كلامك ورأيك ما لم تزين هو الجمال

لا يعجبنك العالم ما لم يكن عالمًا بمواضع ما يعلم · إن غُلبت على الكلام وقتًا فلا تغلبنَّ على السكوت فانه لعله يكون المراء واعرفه ولا يمنعنك حذر المراء من حسن المناظرة والمجادلة · واعلم ان المماري هو الذي لا يحب ان يتعلم ولا يتعلم منه فان زعم زاعم انه انما يجادل في الباطل عن الحق فان المجادل وان كان ثابت الحجة ظاهر البينة فانه يخاصم الى غير قاضٍ وانما قاضيه الذي لا يعدو بالخصومة الا اليه عدلُ صاحبه وعقله فان آنس او رجا من صاحبه عدلاً يقضي به على نفسه فقد اصاب وجه امره وان تكلم على غير ذلك كان ممارياً

ان استطعت الاَّ تخبر اخاك عن ذات نفسك بشيء الا وانت محتجنٌ عنه بعض ذلك التماساً لفضل الفعل على القول واستعداداً لتقصير فعلٍ ان قصر فافعل واعلم ان فضل الفعل على القول زينة وفضل القول على الفعل هجنة وان احكام هذه الخَلَّة من غرائب الخلال

اذا تراكمت الاعمال عليك فلا تلتمس الرَّوح[1] في مدافعتها بالرَّوَغان[2] منها فانه لاراحة لك الا في اصدارها وإنَّ الصبر عليها هو يخففها

(١) الاستراحة (٢) راغ روغًا وروغانًا حاد

وان الضجر منها هو يراكمها عليك فتعهَّدْ من ذلك في نفسك خصلةً قد رأيتها تعتري بعض اصحاب الاعمال ان الرجل يكون في امر من امره فيرد عليه شغل آخر ويأتيه شاغل من الناس يكره تأخيره فيكدّرُ ذلك بنفسه تكديرًا يفسد ما كان فيه وما ورد عليه حتى لا يحكمَ واحدٌ منهما فان ورد عليك مثل ذلك فليكن معك رأيك الذي تختار به الامور ثم اختر اولى الامرين بشغلك فاشتغل به حتى تفرغ منه ولا يعظمنَّ عليك فوتُ ما فات وتأخير ما تأخر اذا اعملت الرأي معمله وجعلت شغلك في حقه . اجعل لنفسك في كل شيء غاية ترجو القوة والتمام عليها واعلم انك ان جاوزت الغاية في العبادة صرت الى التقصير وان جاوزتها في حمل العلم صرت من الجهال وان جاوزتها في تكلف رضى الناس والخفة معهم في حاجاتهم كنت المصنع المحشود(1)

اعلم ان بعض العطية لؤم وبعض البيان عيٌّ وبعض العلم جهل فان استطعت ان لا يكون عطاؤك جورًا ولا بيانك هذرًا ولا علمك جهلاً فافعل

اعلم انهُ ستمر عليك احاديث تعجبك اما مليحة واما رائعة فاذا اعجبتك كنت خليقًا بان تحفظها فان الحفظ موكل بما راع وستحرص على ان تُعجب منها الاقوام فانّ الحرص على ذلك التعجب من شأن الناس وليس كل معجبٍ لك معجبًا لغيرك واذا نشرت ذلك مرة او مرتين فلم تره وقع من السامعين موقعه منك فازدجرْ عن العود فان العجب من غير عجيب سخف

---

(1) في لسان العرب أصنع الرجل اذا اعان اخرق واما المحشود فهو الرجل المحفوف بالجماعات يقال محفود محشود والمعنى ظاهر من مقتضى العبارة

شديد وقد رأينا من الناس من يعلق الشيء ولا يُقلع عن الحديث به ولا يمنعه قلة قبول اصحابه له من ان يعود ثم يعود · اياك والاخبارَ الرائعة وتحفظك منها فان الانسان من شأنه الحرص على الاخبار لا سيما ما راع منها فاكثر الناس من يحدث بما سمع ولا يبالي ممن سمع وذلك مَفْسَدَةٌ للصدق ومَزْرَاةٌ بالرأي فان استطعت الاّ تخبر بشيء الا وأنت به مصدق وألاّ يكون تصديقك الا ببرهان فافعل

ولا تقل كما يقول السفهاء اخبر بما سمعت فان الكذب اكثر ما انت سامع وان السفهاء اكثر من هو قائل وانك ان صرت للاحاديث واعياً وحاملاً كان ما تعي وتحمل عن العامة اكثر مما يخترع المخترع باضعاف

انظر من صاحبت من الناس من ذي فضل عليك بسلطان ومنزلة ومن دون ذلك من الخلصاء والاكفاء والاخوان فوطن نفسك في صحبته على ان تقبل منه العفو[1] وتسخو نفسك عما اعتاص[2] مما قِبَله غير معاتب ولا مستبطئ ولا مستزيد فان المعاتبة مقطعةٌ للود وان الاستزادة من الجشع وان الرضى بالعفو والمسامحة في الخلق مقرب لك كل ما تتوق اليه نفسك مع بقاء العرض والمودة والمروة

اعلم انك ستُبتلى من اقوام بسفه وان سفه السفيه سيطلع لك منه فان عارضته او كافأته بالسفه فكانك قد رضيت ما اتى به فاجتنب ان تحتذي مثاله فان كان ذلك عندك مذموماً فحقق ذمك اياه بترك معارضته فأما ان تذمه وتمتثله[3] فليس ذلك لك * لا تصاحبنّ احداً وان استأنست

(١) . الفضل او المعروف (٢) شقّ وصعب (٣) تتبع طريقته

به اخا قرابةٍ او اخا مودة ولا والداً ولا ولداً الا بمروة فان كثيراً من اهل المروة قد يحملهم الاسترسال او التبذل على ان يصحبوا كثيراً من الخلصاء بالادلال والتهاون ومن فقد من صاحبه صحبة المروة ووقارها احدث له في قلبه رقة شأنٍ وخفة منزلة. لا تلتمس غلبة صاحبك والظفر عليه بكل كلمة ورأي ولا تجترئنّ على تقريعه وتبكيته بظفرك اذا استبان وحجتك اذا وضحت فان اقواماً يحملهم حب الغلبة وسفه الرأي في ذلك على ان يتعقّبوا الكلمة بعد ما تنسى فيلتمسوا فيها الحجة ثم يستطيلوا بها على الاصحاب وذلك ضعف في العقل ولؤم في الاخلاق

لا يعجبنك اكرام من يكرمك لمنزلة او سلطان. فان السلطة اوشك امور الدنيا زوالاً ولا يعجبنك اكرامهم اياك للنسب فان الانساب اقل مناقب الخير غناءً عن اهلها في الدين والدنيا ولكن اذا أُكرمت على دين او مروّة فذلك فليعجبك فان المروّة لا تزايلك في الدنيا والدين لا يزايلك في الآخرة

اعلم ان الجبن مقتلة وان الحرص محرمة فانظر فيما رأيت او سمعت امن قتل في القتال مقبلاً اكثر ممن قتل مدبراً وانظر امن يطلب اليك بالاجمال والتكرم احق ان تسخو اليه نفسك بطلبته أَمّن يطلب اليك بالشره * اعلم انه ليس كل من كان لك فيه هوى فذكره ذاكرٌ بسوء وذكرته انت بخير ينفعه ذلك او يضره فلا يستخفنك ذكر احد من صديق او عدو الا في موطن دفع او محاماة فان صديقك اذا وثق بك في مواطن المحاماة لم يحفل

(١) حَفَلَه وحفل بهِ واحد

ما تركت مما سوى ذلك ولم يكن له عليك سبيل لائمة وان الاحزم في امر عدوك الا تذكره الا حيث يضره وألّا تعد يسير الضرّ ضرًّا * اعلم ان الرجل قد يكون حليماً فيحمله الحرص على ان يقال جليدٌ والمخافة ان يقال مَهين على ان يتكلف الجهل وقد يكون الرجل زميتاً فيحمله الحرص على ان يقال لسنٌ والمخافة من ان يقال عيٌّ على ان يقول في غير موضعه فيكون هذرًا فاعرف هذا واشباهه واحترس منه كله . اذا بدهك امران لا تدري ايهما اصوب فانظر ايهما اقرب الى هواك فخالفه فان اكثر الصواب في خلاف الهوى . ليجتمع في قلبك الافتقار الى الناس والاستغناء عنهم فيكون افتقارك اليهم في لين كلمتك وحسن بشرك ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك . لا تجالس امرءًا بغير طريقته فانك ان اردت لقاء الجاهل بالعلم والجافي بالفقه والعيّ بالبيان لم تزد على ان تضيع عقلك وتؤذي جليسك بحملك عليه ثقل ما لا يعرف وغمك اياه بمثل ما يغتم به الرجل الفصيح من مخاطبة الاعجمي الذي لا يفقه واعلم انه ليس من علم تذكره عند غير اهله الا عادَوه ونصبوا (1) له ونقضوه عليك وحرصوا على ان يجعلوه جهلاً حتى أن كثيرًا من اللهو واللعب الذي هو اخف الاشياء على الناس ليحضره من لا يعرفه فيثقل عليه ويغتم به . ليعلم صاحبك انك حَدِبٌ (2) على صاحبه واياك ان عاشرك امرؤ ورافقك ان لا يرى منك باحد من اصحابه واخدانه رأفة فان ذلك يأخذ من القلوب مأخذًا وان لطفك بصاحب صاحبك احسن عنده موقعًا من لطفك به بنفسه . اتق الفرح عند المحزون واعلم انه

(1) نصب فلان لفلان اذا قصد له وعاداه وتجرد له (2) مشفق

يحقد على المنطلق ويشكر للمكتئب

اعلم انك ستسمع من جلسائك الرأي والحديث تنكره وتستجفيه من محدث عن نفسه او عن غيره فلا يكوننَّ منك التكذيب ولا التسخيف لشيء مما يأتي به جليسك ولا يجرئنك على ذلك ان تقول انما حدث عن غيره فان كل مردود عليه سيمتعض من الرد وان كان في القوم من تكره ان يستقر في قلبه ذلك القول لخطاء تخاف ان يُعقَد(١) عليه او مضرة تخشاها على احد فانك قادر على ان تنقض ذلك في سر فيكون ايسر للنقض وابعد للبغضة · واعلم ان البغضة خوف والمودة امن فاستكثر من المودة صامتاً فان الصمت يدعوها اليك وناطقاً بالحسنى فان المنطق الحسن يزيد في ود الصديق ويسهل سخيمة(٢) الوغر

واعلم ان خفض الصوت وسكون الريح ومشي القصد(٣) من دواعي المودة اذا لم يخالط ذلك بأوٌ(٤) ولا عُجب اما العجب فهو من دواعي المقت والشنآن · تعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام ومن حسن الاستماع امهالُ المتكلم حتى يقضي حديثه وقلة التلفت الى الجواب والاقبالُ بالوجه والنظر الى المتكلم والوعيُ لما يقول · واعلم ان المستشار ليس بكفيل والرأي ليس بمضمون بل الرأي كله غَرَرٌ(٥) لان امور الدنيا ليس شيء منها بثقة ولانه ليس شيء من امرها يدركه الحازم الا وقد يدركه العاجز بل ربما اعيى الحَزَمةَ ما امكن العجزة فاذا اشار عليك صاحبك برأي فلم تجد عاقبته

(١) يبنى (٢) السخيمة الحقد والموجدة في النفس والوغر من الوغر وهو الاحتراق من الغيظ (٣) القصد استقامة الطريق ومنه قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل (٤) البأو والبأواء الفخر بالنفس (٥) خطر

على ما كنت تأمل فلا تجعل ذلك عليه لوماً وعذلاً تقول انت فعلت هذا بي وانت امرتني ولولا انت ولا جرم لا اطيعك فان هذا كله ضجر ولؤم وخفة وان كنت انت المشير فعمل برأيك او ترك فبدا صوابك فلا تمتن ولا تكثرنّ ذكره ان كان في نجاح ولا تلم عليه ان كان استبان في تركه ضرراً تقول الم اقل لك الم افعل فان هذا مجانب لادب الحكماء • اعلم فيما تكلم به صاحبك ان مما يهجّن[1] صواب ما تأتي به ويذهب بهجته و يزري بقبوله عجلتك في ذلك قبل ان يفضي اليك بذات نفسه ومن الاخلاق السيئة على كل حال مغالبةُ الرجل على كلامه والاعتراض فيه والقطع فيه ومن الاخلاق التي انت جدير بتركها اذا حدث الرجل حديثاً تعرفه الاّ تسابقه اليه وتفتحه عليه وتشاركه فيه حتى كانك تظهر للناس بانك تريد ان يعلموا انك تعلم من مثل الذي يعلم وما عليك ان تهنئه بذلك وتفرده به وهذا الباب من ابواب البخل وابوابه الغامضة كثيرة • واذا كنت في قوم ليسوا بلغاء ولا فصحاء فدع التطاول عليهم في البلاغة او الفصاحة

اعلم ان بعض شدة الحذر عون عليك فيما تحذر وان شدة الاتقاء يدعو اليك ما تتقي • ان رأيت نفسك تصاغرت الدنيا اودعتك الى الزهادة فيها على حال تعذّر منها عليك فلا يغرنك ذلك من نفسك على تلك الحال فانها ليست بزهادة ولكنها ضجر واستخذاء[2] وتغير نفس عند ما اعجزك من الدنيا وغضبٌ منك عليها مما التوى عليك منها ولو تممت على رفضها وامسكت عن طلبها اوشكت ان ترى من نفسك من الضجر والجزع اشد من ضجرك

(١) يعيب القول (٢) استرخاء .

الاول باضعاف ولكن اذا دعتك نفسك الى رفض الدنيا وهي مقبلة عليك فاسرع اجابتها·اعرف عورتك واياك ان تعرض باحد فيما شاركها واذا ذكرت من احد خليقته فلا تناضل عنه مناضلة المدافع عن نفسه فتتهم بمثلها ولا تلحّ كل الالحاح وليكن ما كان منك من غير اختلاط فان الاختلاط من محققات الريب واذا كنت في جماعة قوم ابدًا فلا تعمنّ جيلاً من الناس او امةً بشتم ولا ذم فانك لا تدري لعلك تتناول بعض اعراض جلسائك ولا تعلم · ولا تذمنّ مع ذلك اسماً من اسماء الرجال والنساء بان تقول ان هذا لقبيحٌ من الاسماء فانك لا تدري لعل ذلك موافق لبعض جلسائك في بعض اسماء الاهلين والحرم ولا تستصغرنّ من هذا شيئاً فكله يجرح في القلب وجرح اللسان اشد من جرح اليد·اعلم ان الناس يخدعون انفسهم بالتعريض والتوقيع بالرجال في التماس مثالبهم ومساويهم ونقيصتهم وكل ذلك ابين عند سامعيه من وَضَح الصبح فلا تكوننّ من ذلك في غرور ولا تجعلنّ نفسك من اهله

اني مخبرك عن صاحب كان اعظم الناس في عيني وكان رأس ما اعظمه عندي صغر الدنيا في عينه كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر اذا وجد وكان خارجاً من سلطان فرجه فلا يدعو اليه مؤونةً ولا يستخف له رأياً ولا بدناً وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يقدم الا على ثقة او منفعة وكان اكثر دهره صامتاً فاذا قال بذّ[1] القائلين · كان يرى متضاعفاً مستضعفاً فاذا جاء الجد فهو الليث عادياً وكان لا يدخل

(١) بذّ غلب وفاق ومنه في الحديث بذّ القائلين ومنهُ صفة مشيه صلى الله عليه وسلم يمشي الهوينا يبذّ القوم اذا سارع الى خيرٍ او مشى اليه

في دعوى ولا يشرك في مراء ولا يدلى بحجة حتى يجد قاضياً عدلاً وشهوداً عدولاً وكان لا يلوم احداً على ما قد يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره وكان لا يشكو وجعاً الا الى من يرجو عنده البرء ولا يصحب الا من يرجو عنده النصيحة لهما جميعاً وكان لا يتبرم[1] ولا يتسخط ولا يتشهى ولا يتشكى ولا ينتقم من الولي ولا يغفل عن العدو ولا يخص نفسه دون اخوانه بشيء من اهتمامه بحيلته وقوته فعليك بهذه الأخلاق ان اطقت ولن تطيق ولكن اخذ القليل خير من ترك الجميع وبالله التوفيق

عن نسخة وجدت في مكتبة عاشر افندي المرحوم شيخ الاسلام السابق بدار السعادة العلية ووجد في آخر النسخة ما يأتي

﴿ تم الكتاب الدرة اليتيمة بعون الله سبحانه وقوته والحمد لله ﴾

﴿ رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وآله واصحابه ﴾

﴿ اجمعين . بجدة المعمورة في شهر ربيع الاول ﴾

﴿ سنة ثلث وثمانين وتسعمائة ﴾

---

(١) برم وتبرم تضجر

مطبوعات المكتبة الجامعة

هذه اسماء بعض كتب طبعتها حديثاً مكتبتنا الجامعة
واكثرها من مؤلفات اخينا امين الخوري صاحب مطبعة الاداب ومن وكلاء الدعاوي

١٥ رسائل ابي العلاء المعرّي مشروحة ومضبوطة بالشكل الكامل
٣ ديوان الفارض بدون شرح
٣ الاجرومية مع الاعراب
٢- الاجرومية بدون اعراب
١٥ مبتكر المراسلات الفرنساوية او انشاء المكاتيب فرنساوي وعربي
٢½ مبادي القراءة الفرنساوية بصور
١½ المفتاح الذهبي لاتقان التكلم في الفرنساوي والعربي
٦ تملك باللغة الفرنساوية مع شروحات بالفرنساوية والعربية ايضاً
٥ كتاب القراءة الفرنساوية بصور
٤ مختصر الغراماطيق الفرنساوي تاليف المعلم يوسف افندي حرفوش
٣ جامعة الاداب وهو كتاب قراءة غاية في الافادة للمبتدئين
٣ رياض الالباب في رياض الحساب
٤٠ قصة عنتر مجلد الاول وثاني
٥ جامعة القوانين طبعة جديدة منقحة

٦ مطول في انشاء المكاتيب
٢½ مختصر في انشاء المكاتيب
٦ نعيم البطون . وهو كتاب فيه صناعة الطبخ والماكولات العربية والافرنجية
٥ ديوان عنتر طبعة ثالثة
٢½ مزامير بسيط
١٥ القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة بعشرين لغة تجلد امتقناً
١٠ هو ذاته مغلفاً
١٦ ابن عقيل بالشكل الكامل
٦ كنز اللغة العثمانية ترجمان قواعد ومكالمات تركية ...
٣٣ رفيق العراني ...
فارسي يحوي على ...
١½ سانكونت فرنساو...
١٠ رواية الانتقام ...
فردوس السرور ...
١٢ هو مجموع ...
والفكاهات ١٤...

خليل الخوري